



الشمس تشرق .. تغرب، الأيام تفرض مرورها فوق الساعات، تناسب بسرعة، يتناسى الناس حساباتها، متشابهة، لا تقف لأي سبب كان، لا تخضع للظروف ... هكذا حتى نهاية العمر.

تظل الأيام تتتسارع.. يوما بعد يوم، لا تتناقش مع البشر، بل من يريد مواكبتها، عليه أن يركض بجوارها كي ينال ما يريد، فهي لا تنتظر أحدا.

غير ذلك، فالإنسان الخامل هو من يعلق في آخر المضمار، وتبقى الأيام تمضي دون عائق يعوقها، أو مانع يبطئ سريانها الدائم، وتبقى عزيمة المرء الساكنة تض محل وتنكمش حتى النهاية.

يمضي العمر، يولد كل يوم آلاف البشر، يطئون الحياة، ويفادرها الآلاف ممن فارقوها إما راضيين أو ساخطين، مباغتين أو مستعدين.

إلا ان الناس جمیعا مشترکون في السعی في العمر القصير، إما سعياً كسولاً، أو سعياً متحمساً، آملاً بلا عمل، أو عاماً بلا أمل، لكنه سعي على كل حال وراء الحلم، ووراء الكمال الذي لا يُبلغ.

في أي طريق سفر، هناك قاطع طريق، وفي أي مشوار نجاح هناك محبطون، وبأي مضمار سباق هناك منحبات وعقبات، فليس غريباً أن يكون طريق الجنة مليئاً بالمصاعب، أو أنها قد "حفت بالمكاره"، والساعي إليها صيد ثمرين للأشرار والشياطين وقاطعي طرق النجاة.

مطاردون هم عباد الله في أرض الله في ذلك الزمان، غرباء، متخطفون بين لحظات الاطمئنان، لا يثبتهم سوى نور قلوبهم، وبوصلة دعائهم في الثلث الأخير، يذوبون في لحظات الأقدار المؤلمة، ويتوحدون على الصبر من جديد، يناؤشون المعاصي بذكر الله، ويمتنون جياد الصراع مع هوى النفس والشيطان.

الصالحون لطالما أثبتو وجودهم في حياتهم، ونقشوا عليها حروف أعمالهم، وسخّروا الصعاب أنعاماً يمتطوها نحو ما يراه البعض مستحلاً.

وبالرغم من عزيمتهم الجبار، هم أول من تكلموا عن صعوبة مجاهدة النفس، ومنزلته السامية، وهم أول من وصفوا أنفسهم بالغرباء وسط الزمان.

كل امرئ مؤمن تبلور حياته في كلمتين، (بعد وقرب، طاعة وعصية، ذنب وتنورة، حيدة وإنابة)، يتكرران، يتناوبان باستمرار، يسيران بمحاذة العمر القصير، قد يطول إحدهما وينقص الآخر، ويطول الآخر وينقص الأول، ويبقى التناوب

مستمراً ما حيا المرء، ويبقى المؤمن ساعياً نحو القرب والطاعة والتوبية والإنابة، حتى يلقى الله، فعلام تكون ساعة نهايته، وعلام يتوقف نبض قلبه!.

وفي الطريق إلى النجاة، تكمن المطاردة من شياطين الجن الخفيين، وشياطين الإنس المرئيين، لا يسلم إلا من أعد العدة، وتزود بزاد القوة والتقوى، ومضي في طريقه تتناغم خطواته مع إيقاع نبض قلبه، لا تتوقف إدحاهما قبل الأخرى، ولا يعثر في الطريق ولا يضل، مهما كثر المطاردون، ومهما أعدت له المكائد والمصائد والمهالك.

جرائم شياطين الإنس والجن كلها تسجل ضد مجهول، كل منها يفتاك الناس فتكاً عظيماً، وجميعها تعد مطاردة للمؤمنين في سبيل الجنة، جرائم شنيعة، والسكوت عادة هو الجواب، والخنوع هو حال سائر الناس، والقليلون من الصالحين هم من يتمسكون بالخيط الأخير، والعروة والوثقي.

العمر لا يتوقف للبحث عن المجرمين، ولكن يمكن أن يغيب المرء بحثاً عن حياته، بدلاً من أن يحضر تائهاً مطارداً في غياب الظلام القاتم.

أتحدث عن المؤمنين المطاردين في طريقهم نحو الطاعة، فأمام كل باب ألف قفل، وخلف كل طريق توبة وحوش ضاربة. فكم من شاب عزم التوبة ولم تستطع عزيمته هزيمة المطاردة الكبيرة، ولم يتحمل قلبه المتقلب الفتنة الغزيرة، وتلجلجت عزيمته ارتخاء وخمولاً، وعاد كما كان قبل التوبة بل أشد قبحاً!.

وكم من فتاة ايقنت سر وجودها في الحياة وهدف عيشهما، ورسالتها العظيمة، ولكنها أمام الأبواب المغلقة والوحوش المطاردة لم تكتسب القوة الكافية لتجتازها إلى النعيم الأبدي، بل ظلت في حيرة المجهول خلف الأبواب.. ويمضي العمر.. والموتى بعد ذلك لا يطرقون الأبواب..

مطاردون هم إذن، من الجهل المخيم في نسيج الحياة، ومائها الراكد، الذي يشن حرباً أبدية بسلاح بارد على المجتمع والأجيال والآفكار والأحلام، الجهل العائق في سبيل كل ما هو نافع، والقاطع لما أمر الله به أن يوصل، والمفسل لكل نجاح، فكيف لسالك طريق الهدى أن يسير دون نيرأس العلم الذي يضيء مسالك الطريق الموحش الذي قل سالكه!.

مطاردون هم من القلوب العفنة، المحيطة بكل ما هو جميل في الحياة لتمحوه أو تشوهه، تلهم القلوب الحاسدة، وكفى بوجودها يمتص الهواء الرطب من الصدر، ويعرقل إحاطتها بالنجاح كل ما له علاقة بالنجاح..

إنها القلوب السيئة التي تفتاك بالسائرين في أول طريق الهدى، قد تبعدهم عنه أو تنفرهم منه، أو تخلق لهم طرقاً أكثر زينة للسير بها، فتبني لهم الوهم ملوكاً!.

مطاردون من راغبي إزهاق القيم، وتقزيم المبادىء، وتحجيم الدين، وإعاقة التذكرة، وإيقاف الموعظة، وخفوت النصيحة، واستنكار الأمر بالمعروف، حتى يذوب فتيل التقوى، وتتبخو شظية الإحسان في الصدور ويقل التعلق بالنعمة، وتذوب القلوب في صراعات الفتنة، ويختفي الكثير وسط مشاغل الحياة، ويتمخض الجيل عن مستقبل مفتت!.

مطاردون هم من أعداء الصلاح وكارهي الطاعات، يقطعون الطريق، يستنزفون الهواء، يجاهرون بالقبح ويتبارزون بالفشل، لا ينفذ المصلحون منهم إلى عبر مسام جدرهم السميك، فقلما ينفذ صالحاً!.

مطاردون من مثيري الفتنة وناشري الفحشاء وباعثيها، إذ مع كل شمس تشرق أو تغرب يرسلون فتنة تنتشر مع شعاع الصيف أو مطر الشتاء، تغمر وجه الأرض بمن عليها، يتغذون في صناعة الفتنة، وترويجها، وجعلها واقعاً، ثم يحصدون ناتج

سلاح المؤمنين في تلك المطاردة هو حب الخير للناس جميعاً، والرغبة في نشر السلام بينهم، والأمل في مجتمعات فاضلة طاهرة، يبذلون العنف ويطردون الضرر، ويحاربون الفرق، ويسعون لخير الأوطان.

يهدون الزهور لمن طعنهم بالأشواك، ويقدمون الندى لمن منعهم قطرة الماء، ويحملون الابتسامة لمن حمل إليهم الدمع والصرخات، ويصررون على ذلك مادام فيهم رقم الحياة.

سلاحهم هو الإيمان الراسخ بموعد الله سبحانه، وسبيلهم الحكمة والموعظة الحسنة والجدال والتي هي أحسن، وعدتهم أكف ضارعة للسماء في جوف الليل الآخر.

إنه الصراع الأبدى بين الشيطان والمؤمن، والمطاردة المقدسة، بين الخير والشر، بين الخبيث والطيب، بين العبودية والانحراف، التي من أجلها نشأت الدنيا، وأشرقت الشمس، وتفتحت الزهور، وفاضت الدموع.

لاشك إنها مطاردة محسومة النهاية مهما صعبت ابتلاءاتها، وثقلت تبعاتها، وطال ليلها، ليظل المؤمن سائراً، يواكب الأيام، شروقاً بعد شروق، وربما تلو ربيع، يصارع الفتنة، فبسماة بعد دمعة، وطمأنينة بعد خوف، والعاقبة للتفوى..

المسلم

المصادر: